



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

أبريل ٢٠٢١ م

الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات

اغفروا لبعضكم البعض

"يا رب كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له؟ هل إلى سبع مرات؟" (مت ١٨: ٢١)

"قال الأنبا بيمن عن الأنبا إيسيدوروس أنه عندما كان يخاطب الإخوة في الكنيسة كان يقول شيئاً واحداً: اغفر لأخيك حتى يُغفر لك أنت أيضاً"^٨ من يريد أن يتصالح مع الله ويكون في سلام معه يجب عليه أولاً أن يصطلح مع أخيه. إن قال أحد إنني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره؟ ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً" (١ يو ٤: ٢٠-٢١). الغفران، بحسب الآباء، هو المدخل إلى حياة التوبة، وبالتالي إلى ملكوت الله. الغفران هو البداية والبداية الضرورية لجميع المساعي الروحية الحقيقية التي سوف تقربنا من الله المحب الذي هو نفسه هو الذي يتميز بغفرانه لخطايانا الكثيرة. بدون الغفران، بدون غفران حقيقي شامل، سوف يعاق نهجنا في ملكوت الله المتسامح دائماً، بل أنه قد يُمنع.

نحن نتحدث عن الغفران كثيراً في الكنيسة، كثيراً في الحياة المسيحية، لدرجة أننا، في كثير من الأحيان، ننسى ببساطة أن نستمع. ننسى معنى هذا المصطلح، هذه الفكرة، وهذا العمل، وننسى أيضاً المركزية الحقيقية التي يجب أن تكون للغفران في حياتنا في المسيح. إنها مركزية يتم الحديث عنها مراراً وتكراراً، ليس فقط في كتابات الآباء، ولكن في الخدمات الليتورجية للكنيسة، وفي الصلوات، وفي التراتيل، وفي كل زاوية وجانب من جوانب الحياة الأرثوذكسية. ومع ذلك، نفقد أثر الغفران ربما لأننا نسمع عنه في كثير من الأحيان. ومع ذلك فإنه يبقى المفتاح والمركزية لكل ما نحن عليه وكل ما نقوم به، وعندما نولي اهتماماً لما تقوله الكنيسة في صلواتها وتراتيلها حول الحاجة إلى المغفرة، حول فعل المغفرة، وارتباطها بواقع تلقي مغفرة الله في قلوبنا، عندما نستمع حقاً، ندرك مدى أهمية ومركزية الغفران الحقيقي.

نتذكر تلك المركزية بقول آخر من برية مصر مأخوذ من أقوال الأنبا شيشوي من أقوال آباء البرية: أتى أخ كان قد أهين من أخ آخر إلى الأب وقال له: لقد أساء أخي إليّ وأرغب في الانتقام منه. فحاول الأب أن يعزبه وقال: لا تفعل هذا يا ابني. بل بالحري دع الانتقام لله. لكنه قال: لن أهدأ حتى أنتقم منه. فقال الأب: دعنا نصلي يا أخي. ولما وقف قال بصوت عالٍ: يا أبانا لا تغفر لنا ذنوبنا كما لا تغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا. وإذ سمع الأخ تلك الكلمات سقط عند رجلي المعلم وقال: لن أتعارك مع أخي قط. اغفر لي يا أبي الحبيب!

^٨ الأنبا إيسيدوروس – أقوال آباء البرية

عندما نصلي الصلاة الربانية لأبينا فإننا نعمل أمراً سرياً مرعباً. إننا ندعو الله أن يستجيب لقلبنا مثلما نقدم قلبنا له لإخوتنا وأخواتنا. "تعال يا رب واغفر لي خطاياي مثلما أغفر لأولئك المذنبين إلي". إننا ندعو أنفسنا إلى علاقة من الغفران المتبادل في تلك الصلاة التي تشكل جزءاً لا يتجزأ من كل صلاة في الكنيسة الأرثوذكسية. تلك هي الصلاة التي علمها الرب لتلاميذه، وهي التي تظهر لنا وتذكرنا باستمرار ليس فقط أنه ينبغي علينا أن نغفر بل أن الغفران الذي نظهره من نحو إخوتنا مرتبط بقدرتنا على الحصول على الغفران من الله. وعلى العكس من ذلك، فإننا بمقدار ما لا نغفر ونرفض الغفران (لأننا نرغب في الانتقام الذي هو ذئب في ثياب الحمل. إنه طلب ما هو حق وعادل ولكنه يكون مدفوعاً بالكراهية لأننا نخزن الغضب أو العداوة أو حتى عدم الارتياح الذي يجعله أمراً مرعباً أن نطلب الغفران ونقدمه)، بمقدار ما نكسر علاقة الغفران التي أقامها الله معنا.

ليس من السهل أن نغفر. إنه تحدي. إنه عمل حقيقي من الزهد. توجد أوقات يكون فيها مجرد فعل بسيط مباشراً. بالنسبة لأولئك الذين لدينا علاقة وثيقة معهم، يكون من السهل في بعض الأحيان أن نغفر الأشياء الصغيرة، وربما أشياء كبيرة. لكن الغفران هو فعل طاعة ومحبة وإنكار حقيقي للذات، واختبار الحب الحقيقي يأتي في تحدي الغفران الحقيقي عندما لا يكون أمراً سهلاً. عندما يكون الأمر صعباً، هناك نوع من الخوف الذي يأتي من الاعتقاد بأننا قد نعاني بسبب تقديم الغفران.

قد يجيب شخص ما بشكل سيء، ولكن هناك خوف أكثر غدرًا يأتي من قلوبنا، داخل أرواحنا المضطربة: الخوف من الإحراج، الخوف من حالة الرفاهية التي نحن عليها. هل أنا مستعد للغفران؟ هل جئت إلى مكان أشعر فيه أنه يمكنني أن أغفر له؟ هذه أسئلة مميتة وخطيرة على الحياة المسيحية. المسيح يدعونا دائماً إلى المغفرة: ليس غداً، ليس في المستقبل، ليس عندما نشعر بالاستعداد أو حتى الميل، ولكن الآن، في هذه اللحظة. أبي، اغفر لي كما أغفر. لكي نكون قادرين على المسامحة علينا أن ننظر إلى الصليب يومياً وندرك أولاً أنني نفسي بحاجة إلى المغفرة، وأن خطاياي سمرت المسيح على الصليب. "كان من الطبيعي أن تكون الكلمة الأولى التي ينطق بها الرب على الصليب هي صلاة المغفرة لأولئك الذين عاملوه بقسوة وحشية، لأنه قال: "وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيك، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (مت: ٥: ٤٤). من المؤكد أن الله يسلك وفقاً لتعاليمه ووصاياه"^٩

أن تكون منتصراً هو أن تغفر "لقد ابتلي الكثير من الناس العظماء بنفس الطريقة لكنهم لم يكونوا من النبلاء في ضيقاتهم. لقد تفوهوا بكلمات مريرة وماتوا وهم يشتمون جلاذيتهم وقتلتهم، لكن المسيح انتصر عندما قال للآب: "اغفر لهم". قال أحد الآباء القديسين ذات مرة: "لمن صلى يسوع؟ لليهود الذين كانوا يقتلونه الذين منحهم بركاته الكثيرة. وصلى من أجلهم وسط تعذيبه العنيف ومعاناة شديدة. ولو صلى من أجلهم بعد قيامته بعد أن اختفى عذابه وتبددت أحزانه، وتذوق حلاوة ثمار موته، لما كان الأمر مذهلاً إلى هذا الحد، بل كان يطلب المغفرة لأعدائه وهم يشتمونه ويسئون إليه. وطلب الصفح عن أعدائه قبل أن ينطق بأي تعبير آخر حتى عن نفسه أو عن أمه أو يوحنا تلميذه"^{١٠}

^٩ القس منسى يوحنا – "يسوع المصلوب"

^{١٠} القس منسى يوحنا – "يسوع المصلوب"

أحب والتمس عنذراً. "مرة فكر رجل تقي قائلاً: "ليت عيني، يا مخلصي، تكون مصباحاً، ودمي زيتاً، ولحي شموعاً، وكل ما هو بداخلي وخارجي يذوب ويحترق بحبك". لأنهم لا يعرفون ما يفعلونه. هذا هو التماس للرحمة، بسيط في الشكل، عميق في المعنى، جميل في الأهمية. إنها أفضل عريضة مرفوعة إلى أبي المرحم في السماء. يقلل المخلص من شأن جرائم قتلته حتى يغفر لهم الأب. والاستنتاج الذي استدل عليه كلام المسيح إذن هو أن الذين صلبوه لم يدركوا عظمة الخطيئة التي ارتكبوها. وهذا يتوافق مع كلمات بطرس الرسول، "والآن أيها الإخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضاً"، (أع ١٧:٣) وكلمات القديس بولس: "لأنهم لو عرفوا، لما صلبوا رب المجد" (١ كور ٢: ٨).^{١١}

ومع ذلك، ينبغي لنا أيضاً أن نتعلم من هذا التوسل ضرورة مسامحة أعدائنا الذين يضطهدوننا. إذا كان الله، بكل قوته المهيبة، غفر لأولئك الذين جرحوه، فهل علينا، في بؤسنا وحالتنا الوضيعة، ألا نغفر لخصومنا؟^{١٢}

ومع ذلك، فإن الشخص الذي تقوده طبيعته البشرية العقلانية، سوف يغفر للجاني وعلاوة على ذلك سوف يحبه وسوف يكون رحيماً تجاهه كما يحب الطبيب المريض ولكنه يكره المرض ويبذل كل ما في وسعه للقضاء عليه. جاهد إذاً لكي تعالج مرض عدوك بمحبتك وعطفك، "فإن جاع عدوك فأطعمه. وإن عطش فأسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبك الشر بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢: ٢٠-٢١). القديس بطرس الرسول يضع أمامنا مخلصنا كمثال على ذلك عندما يقول: "الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر. الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يُسلم لمن يقضي بعدل" (١ بط ٢: ٢٢-٢٣). يخشى الكثير من الناس تحمل إساءة الأشرار لئلا يتم تشجيعها على الاستمرار ولكن الرجل الحكيم يقول: "الجواب اللين يصرف الغضب، والكلام الموجه يهيج السخط" (أم ١: ١٥). إن معاقبة الخطيئة لا تؤثر على الجاني بقدر ما تؤثر مغفرتها. إذا قلنا إن المسيح، كإله متجسد، كان قادراً على مسامحة صالبيه ولكننا كبشر لا نملك نفس القدرة، فعلينا أن نتأمل يوسف كيف غفر لإخوته، وداد كيف رفض إيذاء شاول الذي يسعى لقتله واستفانوس وهو يصرخ بصوت عالٍ: "يا رب لا تقم لهم هذه الخطيئة" (أع ٧: ٥٩-٦٠). بينما كان يرجم حتى الموت، وكما قال القديس بولس: "نُشتم فنبارك. نُضطهد فنحتمل" (١ كو ٤: ١٢). وقد ننظر أيضاً إلى القديس كبريانوس الذي، عندما حُكم عليه بالموت بالسيف، أمر بإعطاء خمس وعشرين قطعة من الذهب للسياف الذي نفذ الحكم بيد مرتجفة. لا شيء يؤثر على الروح بقدر ما يؤثر غفران الإساءات. لا شك أن غفران الرب كان له تأثير أعمق على النفوس من الانتقام الذي كان يمكن أن يحدث في أي وقت مضى، وهذه الحادثة لا تزال رائحة عطرة تنتشر لجذب الكثيرين. يقال أن مبشر ذات مرة قصص على رئيس قبيلة قصة مغفرة المسيح على الصليب. وبمجرد أن انتهى، أمره الرئيس بمغادرة البلاد موضحاً أنه لو سُمح للمبشر بالتعبير عن هذه الكلمات إلى الناس فإنه يخشى أن ينجذبوا إلى المسيحية لعدم وجود مثل هذه التعاليم في ديانة تلك الأرض. نصحننا القديس بولس: "لا تغرب الشمس على غيظكم" (أف ٤: ٢٦-٢٧). الكثير من الناس يذهبون للنوم مع العداء الراسخ في قلوبهم. ماذا سيفعلون إذا جاء الموت فجأة عليهم بينما هم لا يزالون يحملون عداوة تجاه الآخرين؟ هل هم قادرين على الاقتراب من بوابة السماء مقدمين عداوتهم لله؟^{١٣} يقول القديس أوغسطينوس من هيبو، الذي

^{١١} القس منسى يوحنا - "يسوع المصلوب"

^{١٢} القس منسى يوحنا - "يسوع المصلوب"

^{١٣} القس منسى يوحنا - "يسوع المصلوب"

يكشف بعمق الطبيعة الحقيقية للأشياء: "تخيل بطلان التفكير في أن عدوك يمكن أن يفعل لك المزيد من الضرر أكثر من عدائك. تخيل غرابة اعتقادنا - ونحن جميعاً نتبنى هذا الاعتقاد من وقت لآخر في حياتنا - أن شخصاً آخر يمكن أن يضر بنا أكثر من الضرر الحادث لنفس، وكل قلب وعقل شخص ما، عندما ننهي الكراهية في جسم خلق للحب ويصلح له. يقف الغفران كمدخل للخلاص. إنه يقف هنا كبوابتنا للصوم الكبير.

عندما يتجاوز شخص ما، بقوة روح الله، مقاومة الجسد وعدم الغفران، تكون تلك صدمة. إنها واحدة من أندر اللحظات التي يبحث عنها الجميع في الحياة. إنها عندما ترى بعينيك المادية دليلاً على أن روح الله حقيقي كما لو كنت قادراً أن تلمسه. إنها لحظة لا أحد ينساها. عندما يرى العالم (المشبع بجسد ينتقم من جسد، وقلوب تكره قلوباً، وقبضات يد تصفع قبضات يد، وكبرياء يرتفع ضد كبرياء) فجأة شخصاً يخفض سيفه ويجرؤ على الهمس: "أنا أغفر" ... فإنه يوقف الكل. في لمح البصر من هذا الكلام، يتوقف الشر، والسماء تلامس الأرض، وأغنى دليل على حقيقة الإنجيل يتردد صداه ليس فقط في ذلك اليوم ولكن للأجيال القادمة. بينما الخلاص هو ما يجلب جسد الإنسان إلى توافق كامل مع روح الله، فإن الغفران هو أعظم دليل على أن حقيقة الله تعيش فينا. ولا أحد يرى هذا يمكنه أن يبتعد دون أن يتأثر.

"تذكر أن دليل الانتقام المحبوس داخلك لم يمارس العدالة قط. إنه لم يجعل أحداً يتغير قط ولم يُقَوِّمَ خاطئاً. إنه لم يجعل أحداً يتوب عن كل ما عمل قط. إنه فقط يؤذيك ويحبسك وراء ملصق الضحية. إنه مثل الجلوس بين أنقاض مبنى متهدم رافضاً أن تجعل أيّاً منها يُحمل بعيداً. إنك تصرخ قائلاً: لا. ينبغي عليّ أن أتمسك بذلك الزجاج المتناثر وذلك الطوب المنكسر، وكل الأطر المتلوية مثل العصي. ينبغي النظر إلى الأمر على حقيقته: إنه دليل على نهاية ما. ولكن بمجرد أن يتعرف المرء على الأنقاض المؤذية والتخلص منها، فإن نفس هذا المكان يكون أرضاً صالحة لمبنى جديد جميل. هذه الأدلة المجموعة ليست كترّاً، ولا هي ذكري لإثبات المكان الصعب الذي اجتزت فيه، ولا هي سلاحك السري لتحقيق العدالة. إنها أنقاض. وعلى الرغم من أنك تعتقد أنها تحميك وأنها تجعل عالمك أفضل، إلا أنها قبيحة ومسننة. لا شيء فيها يتعلق بتعافي قلبك. حان الوقت لتسميتها باسمها الحقيقي والبدء في التخلص منها. يمكنك أن تأخذ ما هو ليس مكسور من بين كومتها. ليس كل شيء داخل ملف ذكرياتك قبيح. ينبغي أن تفرغ منه ما يكفي لكي تتحول من شخص حزين إلى شخص مستقبل. يمكنك العثور على الكثير. سوف يكون التعافي الذي تكتشفه رائعاً، ولكنه في الأغلب لن يعطيك أجوبة عن لماذا حدث كل هذا الأذى. التصالح مع الماضي لا يعني أنك لن تكون قادراً قط على استيعاب ما حدث. الأمر الجيد هو أنه يوجد شيء أفضل من الأجوبة. لا يتعين عليك أن تعرف السبب لكي تشعر بالتحسن. لماذا أذوك، لماذا أساءوا فهمك، لماذا غدروا بك، لماذا لم يحبوك، ولم يحموك، ولماذا لم يبقوا كما كان ينبغي عليهم. "إن أسبابهم متعددة الطبقات مع مزيج غامض من الآمهم الخاصة. إنهم يتعاملون مع حسرتهم ويصارعون مع أنفسهم. وفي النهاية، لا أعتقد أنهم يعرفون حتى كل الأسباب التي جعلتهم يتخذون الخيارات التي قاموا بها. معرفة لماذا هي ليست هدية على الإطلاق إذا كان لا معنى لها بالمرّة. ربما أحبوا أنفسهم كثيراً أو قليلاً جداً. ربما كانت قلوبهم منكسرة جداً أو قاسية أو هشة. القلوب المرنة لا تنكسر أو تضرب أو تحتقر، ولكن القلوب المنكسرة مع ماضي لم يتم التعافي منه يمكن العثور عليها في كثير من الأحيان أخذة مسارات خاطئة. إنهم يتألمون، ويلسعون"، يقولون كلمات لا يعنونها حقاً. الألم الذي يُسقطونه هو مجرد محاولة لحماية كل ما هو هش بشكل لا يصدق داخلهم. ولا أعرف لماذا فعلوا ما فعلوه ولكن الإجابات حول لماذا هي ليست ما تحتاجه. إن انتظار شيء منهم يجعلك رهينة لما قد

لا يكون الشخص الآخر على استعداد من أي وقت مضى لإعطائه. لكن إذا كنت تريد الماضي قدماً فلتتعافى، وضع جانباً ما يؤلمك. إنه اختيارك مئة بالمئة.

الاحتفاظ بالبغضة، والحقد، وعدم الغفران، والعداوة هو أكبر حمل. إنه يشبه محاولة الماضي قدماً بينما أنت مازلت مربوطاً بالماضي. دعونا نصلي لأجل بعضنا البعض، ونحب ونغفر لبعضنا البعض كما غفر لنا المسيح. دعونا نجري إليه ونطرح هذا الحمل الثقيل الذي يثقل قلوبنا ويفقدنا فرحنا وسلامنا لأنه قال: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأنني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملتي خفيف" (مت ١١: ٢٨-٣٠)